مجزرة كبكب.. عندما كشفت فرنسا عنصريتها وقتلت 400 عالم دين تشادي

لم تترك فرنسا في إفريقيا، مجالًا إلا وانتهكته، انقسامًا إلا وأحيته، ثروةً إلا ونهبتها، فاستعمارها لدول القارة السمراء لم يكن الهدف منه فقط سرقة خيرات القارة وإنما محاربة الدين الإسلامي أيضًا ونشر الفتنة هناك، حتى تهيئ لها الأجواء لبسط نفوذها والتحكم التام في القارة.

في هذا التقرير الجديد لنون بوست، ضمن ملف "جرائم فرنسا في إفريقيا"، سنتطرق معًا لإحدى المجازر الفرنسية المنسية في دول القارة الإفريقية، مجزرة "كبكب" التي طالت علماء المسلمين في التشاد وراح ضحيتها 400 عالم دين إسلامي هناك.

بداية الاستعمار ومقاومة "رابح"

قبل الحديث عن هذه المجزرة لا بد من العودة أوّلًا إلى بدايات الاستعمار الفرنسي لهذه الدولة الإفريقية. نهاية القرن التاسع عشر، كانت فرنسا الاستعمارية تحتل العديد من الدول الإفريقية، منها ثلاث دول قريبة من التشاد هي: إفريقيا الوسطى (كانت تُعرف في ذلك الوقت باسم "أوبانغي- شاري")، والكونغو (كانت تُعرف باسم مويان كونغو) والغابون.

من هذه المستعمرات الثلاثة التي أطلقت عليها فرنسا اسم "إفريقيا الاستوائية الفرنسية"، تقدمت القوات الفرنسية لاحتلال التشاد، وكان الهدف من احتلال هذه المنطقة توفير اليد العاملة لفرنسا لبناء مستعمراتها الجديدة والاستيلاء على زراعة القطن فضلًا عن وقف المد الإسلامي الذي أخذ يتزايد في إفريقيا.

مارست فرنسا أنواعًا كثيرة من التعذيب ضد المسلمين هناك، حيث ألغت القوانين الإسلامية ومنعت استخدام اللغة العربية ودمرت الآثار الإسلامية

كانت التشاد في تلك الفترة تحت إمرة رابح الزبير بن فضل الله، ذلك الزعيم السوداني الذي أسس

إمبراطورية قوية غرب بحيرة تشاد، وقد اتخذ رابح من الشريعة الإسلامية أساسًا للحكم والقرآن دستورًا وأحيا السنة وأمات البدعة واتجه غربًا لنشر الإسلام.

بدأت فرنسا توسعها، وكانت تطمح إلى عزل إفريقيا عن الدين الإسلامي وتحويل شعوب القارة إلى النصرانية حتى يسهل السيطرة عليها، إلا أن إمبراطورية رابح مثلت العقبة الأولى أمام توسعاتها في تلك الفترة، فقد تصدى لحملاتها وقتل العديد من قادتها على غرار بول كرامبل.

جمعت فرنسا قواتها مباشرة بعد سيطرتها على الساحل الغربي الإفريقي واحتلالها لمدينة "تمبكتو"، وبدأت الزحف تجاه رابح سنة 1894، بحملة يقودها ضابط فرنسي اسمه بريتونيه، إلا أن رابح تمكن من قتله، فعاودت فرنسا المحاولة لكن هذه المرة عبر قوة أكبر، ما مكنها من هزيمة رابح وطرده من نيجريا والكاميرون وإعادته نحو حدود دولة تشاد.

تواصلت المعارك في التشاد، ودفعت فرنسا بقوات أخرى قادمة من إفريقيا الوسطى والجزائر نحو بحيرة التشاد بقيادة الضابط لامي الذي قاد جيوش فرنسا في معركة "لخته" التي انتهت بمقتله وموت رابح في أبريل/نيسان 1900.

بعد مقتل الأمير رابح، تولى القيادة ابنه فضل االله، وحقق انتصارات عديدة قبل أن يُقتل عام 1909، ثم واصلت قوات رابح القتال، بعد مقتل فضل االله، حتى عام 1911، حيث وقعت جميع الأراضي هناك تحت سيطرة الفرنسيين، وألحقت بمستعمرة "أوبانقي- شاري" (إفريقيا الوسطى حاليًا)، فأصبحت "أوبانقي – شاري- تشاد"، مستعمرة واحدة، تابعة إداريًا إلى "إفريقيا الاستوائية الفرنسية".

سحق الشخصية المسلمة

مع تمكنها من احتلال التشاد، مارست فرنسا أنواعًا كثيرة من التعذيب ضد المسلمين هناك، حيث ألغت القوانين الإسلامية ومنعت استخدام اللغة العربية ودمرت الآثار الإسلامية التي خلفتها الإمارات والسلطنات والممالك الإسلامية في المنطقة.

لم تتوقف ممارسات الاستعمار الفرنسي عند هذا الحد، فقد أحرقت المساجد والجوامع والمدارس القرآنية أيضًا، وعملت على نشر النصرانية، وذلك لتحقيق أهدافها في الاستعمار والاستقرار والاستغلال في هذه الدولة الحديثة.

جرائم فرنسا هناك تواصلت بنسق كبير، فالهدف طمس هوية البلاد، حيث عمل المحتل الفرنسي منذ البداية على إزالة كل ما يربط سكان البلاد من خلال عمليات ممنهجة وفرض اللغة الفرنسية وإقصاء العربية، وفرض الديانة النصرانية مقابل التضييق على المسلمين.

سعي فرنسا للقضاء على الواقع الفكري والثقافي التشادي، تم أيضًا عبر محو مقومات الشخصية التشادية وإذابتها في المجتمع الأوروبي المستوطن، كل ذلك بهدف تغيير النمط المجتمعي والهوية التشادية، وهدم البنى الحضارية هناك وإعادة صياغته بما يتماشى ويكفل الهدف الاستعماري الاستيطاني.

محاربة الدين الإسلاميّ في التشاد، لم تتوقف عند مجزرة كبكب، بل تواصلت وَفقَ خطة ممنهجة ومحكمة طويلة المدى وضعها المستعمر الفرنسي

عام 1923 وصلت أول بعثة تنصيرية تابعة للكنيسة البروتستانتية إلى المنطقة الجنوبية، أما الكنيسة الكاثوليكية فقد بدأت تتوافد إلى تشاد عام 1929، وتنامى نشاط الجمعيات المسيحية هناك، حيث قدم المستعمر الفرنسي تسهيلات عظيمة لهذه الجمعيات، بل وحماها من أي خطر يمكن أن يصيبها أو يعيق عملها أو يحد من نشاطها في البلاد.

كما شرعت فرنسا الاستعمارية في تتبع وملاحقة حفظة ومُعلّمَي القرآن الكريم والمربين والوعاظ وعلماء الدين القويم، حتى اضطر العديد منهم إلى الهروب خارج البلاد للنجاة بأنفسهم من بطش المستعمر الذي لا يفرق بين أحد، فجميع الأهالي أهداف له.

تجرد المستعمر الفرنسي من أبسط معاني الإنسانية، حتى إنه جعل العلاج وسيلة ابتزازٍ لتحويل وإخراج أهل التشاد المسلمين من دينهم، فقد كان لا يسمح للمواطنين التشاديين بالعلاج في المستشفيات التي يشرف عليها المُنصَرون إلا الذين يعتنقون الديانة المسيحية.

مجزرة كبكب

سَعيُ المستعمر الفرنسي للقضاء على الإسلام في المنطقة وتنصير البلاد طمعًا في المكوث فيها والتمتع بخيراتها، زين له ارتكاب كل أنواع الجرائم البشعة بما فيها القتل الجماعي، فلا رادع له هناك بعد القضاء على المقاومة في المنطقة.

يذكر أن الإسلام بدأ وصوله إلى منطقة التشاد منذ الفتح الإسلامي عندما وصل القائد الإسلامي عقبة بن نافع مع جيشه إلى مدينة "كوار"، ثم أخذ الإسلام في الانتشار شيئًا فشيئًا في الأراضي التشادية كافة، حتى دخل ملوك "مملكة كانم" في الإسلام في القرن الـ11 ميلاديًا، وصار الإسلام دين الدولة الكانمية الرسمي، فأخذ الحكام ينشرونه في أرجاء البلاد بدعوة الناس إليه.

يوم الـ15 من نوفمبر/تشرين الثاني 1917، جمعت القوات الفرنسية خير علماء الدين الإسلامي في المنطقة، كان اللقاء مبرمجًا ظاهريًا للحديث عن إدارة البلاد تحت الحكم الفرنسي وكيفية تصريف شؤونها، إلا أن المستعمر الفرنسي كانت يبطن الشر.

جمع المستعمر في ذلك اليوم، ما يقارب 400 عالم دين وزعيم محلي في مدينة "أبشة" بإقليم "واداي" سنة 1917، وتم القضاء عليهم عبر ذبحهم بدم بارد في مرة واحدة، ودفن هؤلاء العلماء في مقبرة جماعية بمنطقة "أم كامل" وهو وادي داخل أبشة والمقبرة موجودة حتى الآن.

أراد الفرنسيون من خلال هذه المجزرة، امتلاك المعرفة والسلطة الروحية في المنطقة وترسيخ سلطتهم بشكل أفضل، فالنخبة الفكرية والدينية كانت ستكون حجر عثرة أمام مساعيهم لإدخال البعثات المسيحية في البلاد وفرض نظام الوصاية على سكان البلاد.

بقيت هذه المجزرة البشعة، راسخة في الذاكرة الجماعية تحت اسم "مجزرة كبكب"، وترمز إلى الاستعمار التعسفي في التشاد والدول المحيطة بها، فقد أجهز المحتل الفرنسي على جميع الحاضرين ولم يبقَ أحد منهم.

محاربة الدين الإسلاميَ في التشاد، لم تتوقف عند مجزرة كبكب، بل تواصلت وَفقَ خطة ممنهجة ومحكمة طويلة المدى وضعها المستعمر الفرنسي الذي عُرف باستهدافه لهوية الشعوب المستعمرة، فقد كان يطبق سياسة صليبية مقيتة وذلك لمحو الشخصية الإسلامية في كل دولة يدخلها.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/35942/